

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

@ 4 @ أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات .

ولما مات أبوه كان معه في الصحبة فباشر تدبير المملكة من هناك وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكته فأجاب قوم وامتنع آخرون ثم عاد إلى مراکش التي هي كرسي ملكهم فخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية الملثم من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز إليه الأمير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسائة فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراکش .

وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الأندلس فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحو أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراکش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتفى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جفل عزمهم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل وراز إلى الأندلس وذلك في سنة